مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(١ كورنثوس ٨:٨–١٣؛ ٩:١–٣)

يا إخوةُ إنَّ الطعامَ لا يُقَرِّبُنا إلى الله. لأنَّا إن أكلنا لا نزيدُ وإن لم نأكُلْ لا نَنْقُص* ولكن انظروا أن لا يكونَ سلطانكم هذا معثرةً للضُّعَفاءِ* لأنَّهُ إن رآكَ أحدٌ يا مَن لهُ العلمُ متَّكِئاً في بيتِ الأوثانِ أفلا يتقوَّى ضميرُهُ وهو ضعيفٌ على أكلِ ذبائحِ الأوثان* فيَهلِكَ بسببِ علمِكَ الأخُ الضعيفُ الذي ماتَ المسيحُ لأجلِه* وهكذا إذ تُخطِئون إلى الإخوةِ وتجرَحونَ ضمائرهم وهي ضعيفةٌ إنَّما تُخطئون إلى المسيح* فلذلك إن كانَ الطعامُ يُشكِّكُ أخي فلا آكُلُ لحماً إلى الأبدِ لئلاَّ أُشكِّكَ أخي* ألستُ أنا رسولاً. ألستُ أنا حرًّا. أمَا رأيتُ يسوعَ المسيحِ ربَّنا. ألستُم أنتم عملي في الربّ* وإن لم أكُنْ رسولاً إلى آخرينَ فإنّي رسولٌ إليكم. لأنَّ خاتمَ رسالتي هو أنتم في الربّ.

أحد الدينونة

«ثم يقولُ الملكُ للذينَ عن يمينِهِ تعالَوا يا مباركي أبي رِثوا الملكوتَ المُعَدَّ لكمْ منذُ تأسيسِ العالَم» (متى ٢٥: ٣٤).

إنجيل أحد الدينونة، المستقى من الإصحاح الخامس والعشرين من إنجيل متى، لا يكتفي بأن يُطلق على يسوع، بوصفه ديّانًا، لقب «ابن الإنسان»، وذلك في الآية التي يُستهلّ بها المقطع: «ومتى جاءَ ابنُ الإنسانِ في مجدِهِ» (متى ٢٥: ٣١)، ولا ينحصر في أن يستخدم ليسوع صورة الراعي: «فيقيمُ الخرافَ عن يمينِهِ والجداءَ عن اليسار» (متى ٢٥: ٣٣)، بل يستنجد أيضًا، كما في الآية المقتبسة أعلاه، بصورة الملك، ليصفَ يسوع. يسوع الديّان، إذًا، يجلس على منبر القضاء، في يوم مجيئه الثاني، في صفته ملكًا وراعيًا وابنًا للإنسان.

من الصعب النفاذ إلى مدلول تجمّع كل هذه الألقاب والصور في مقطع واحد دون الرجوع إلى العهد القديم.

في العهد القديم، الملك هو من يضطلع بمهمة القضاء، أي أنه المسؤول عن إحقاق الحقّ والانتصار للمظلوم والاقتصاص من الظالم. وهو، لذلك، يسمّى راعيًا. فالرعاة، في تراث إسرائيل القديم، هم الملوك بالدرجة الأولى. وهذا ما نعثر عليه في النبوءات المسيانيّة التي نظرت إلى المسيح المنتظَر، أي إلى الملك الآتي من سبط داود، على أنه راع: «وأنتِ يا بيت لحم أرض يهوذا، لستِ الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منك يخرج مدبّر يرعى شعبي إسرائيل» (راجع متى ٢:٥ و٦). بيد أن مشكلة الملوك في العهد القديم هي أنهم انصرفوا إلى رعاية أنفسهم عوضًا من رعاية الشعب، فأهملوا الفقراء والضعفاء والبائسين والمظلومين وتحالفوا مع الأقوياء والأغنياء، أي أنهم تصرّفوا بعكس ما كان الله ينتظره منهم: «تأكلونَ الشحمَ وتلبسونَ الصوفَ وتذبحونَ السمينَ ولا ترعَونَ الغنمَ. المريضُ لم تُقوّوهُ والمجروحُ لم تعصِبوهُ والمكسورُ لم تجبُروهُ والمطرودُ لم تستردّوهُ والضالُّ لم تطلبوهُ بل بشدّةٍ وبعنفٍ تسلّطتُمْ عليهم» (حز ٣٤: ٣–٤). تلكّؤ الملوك – الرعاة في القيام بواجبهم، أي إنصاف ضعفاء الشعب، حدا الله، كما نقرأ في

العدد ٢٠٠٧/٦
الأحد ١١ شباط
أحد مرفع اللحم
تذكار القديس الشهيد في الكهنة فلاسيوس والقديسة ثاودورة أوغوستي
اللحن الثاني
إنجيل السَحَرْ الثاني

الإنجيل

(متى ٢٥:٣١-٤٦)

قال الربُّ متى جاءَ ابنُ البشرِ في مجدهِ وجميعُ الملائكةِ القديسين معهُ فحينئذٍ يجلسُ على عرشِ مجدهِ* وتُجمَعُ إليهُ كلُّ الأُممِ فيميّزُ بعضَهم من بعضٍ كما يميّزُ الراعي الخرافَ من الجداءِ* ويُقيم الخرافَ عن يمينهِ والجداءَ عن يسارهِ* حينئذٍ يقولُ المَلِكُ للذينَ عن يمينهِ تعالَوْا يا مباركي أبي رِثوا المُلكَ المُعَدَّ لكم منذ إنشاءِ العالَمِ* لأنّي جُعتُ فأطعمتموني وعطِشتُ فسقيتموني وكنتُ غريباً فآويتموني* وعُرياناً فكسَوتموني ومريضاً فعُدْتموني ومحبوساً فأتيتم إليَّ* حينئذٍ يُجيبهُ الصِدّيقون قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً فأطعمناك أو عطشانَ فسقيناك* ومتى رأيناك غريباً فآويناك أو عُرياناً فكسوناك* ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك* فيُجيبُ المَلِكُ ويقولُ لهم: الحقَّ أقول لكم بما أنَّكم فعَلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاءِ الصغارِ فبي فعلتموهُ* حينئذٍ يقول أيضاً للذين عن يسارهِ اذهبوا عنّي يا ملاعينُ إلى النارِ الأبديَّةِ المُعَدَّةِ

سفر حزقيال، على أن يقرّر أن يتولّى بنفسه رعاية الأغنام: «أنا أرعي غنمي وأُربِضُها يقولُ السيدُ الربُّ. وأطلبُ الضالَّ وأستردُّ المطرودَ وأَجبرُ الكسيرَ وأعصِبُ الجريحَ وأُبيدُ السمينَ والقويَّ وأرعاها بعدلٍ» (حز ٣٤: ١٥-١٦).

النص الإنجيلي الذي يُقرأ اليوم على مسامعنا يقدّم يسوع، إذًا، بوصفه راعيًا ومَلِكًا، بوصفه مسيح الله الذي، في اليوم الأخير، يوم مجيئه الثاني، سيحقّق العدل، هذا العدل الذي أخفق ملوك الأرض وحكّامها جميعهم في تحقيقه. وهو لا يكتفي بإقامة العدل للشعب اليهودي، بل «يجتمعُ أمامَهُ جميعُ الشعوبِ» (متى ٢٥: ٣٢)، أي أنّه مسؤول عن العدل في الأرض كلها، وخرافه لا تنحصر في حظيرة واحدة، أو في فرقة واحدة، أو في ملّة واحدة، بل هو قادر على التعرّف إلى خرافه من بين كل الحظائر والفرق والملل.

ولكن، ماذا عن لقب «ابن الإنسان» الذي يُطلقه النص الإنجيلي على يسوع، الملك والراعي؟ الحق أن استخدام هذا اللقب بالذات هو ما يدلّنا على البعد الجديد الذي فيه تكمن فرادة هذا النص. لقب «ابن الإنسان» نعثر عليه أيضًا في العهد القديم، وتحديدًا في سفر دانيال النبي، وهو يشير إلى كائن إلهي يأتي في الأيام الأخيرة ويُعطى له السلطان على كل الشعوب: «كنتُ أرى في رؤى الليلِ وإذا مع سُحُبِ السماءِ مثلُ ابنِ إنسانٍ أتى وجاءَ إلى القديمِ الأيامِ فقَرَّبوهُ قُدّامهُ. فأعطيَ سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتَتَعبَّدَ لهُ كلُّ الشعوبِ والأممِ والألسنةِ، سلطانُهُ سلطانٌ أبديٌّ ما لنْ يزولَ وملكوتُهُ ما لا ينقرضُ» (دا ٧: ١٣-١٤). صورة «ابن الإنسان» الآتي في سحب السماء تنسجم، إذًا، انسجامًا تامًّا مع صورة يسوع الآتي في مجده مع الملائكة، والمعروف أن الغمام في لغة الكتاب المقدس إشارة إلى المجد.

غير أن عبارة «ابن الإنسان» لا تشير فقط إلى هذا الكائن الإلهي الذي سيأتي في الأيام الأخيرة، بل هي تعني في اللغات الساميّة، ولاسيّما في الآراميّة، وهي اللغة التي تكلّم بها يسوع، ما تعنيه عبارة «بني آدم» في العامّية، أي كل إنسان. هذا المعنى الثاني في غاية الأهمية، إذا أردنا فهم المقطع الإنجيلي في كل أبعاده. فيسوع، في هذا المقطع، يماهي ذاته بكل إنسان، ولا سيّما بالإنسان الضعيف: «فيجيبُ المَلِكُ ويقولُ لهمُ الحقَّ أقولُ لكمْ بما أنَّكم فعلتموهُ بأحدِ إخوتي هؤلاءِ الأصاغرِ فبي فعلتُمْ» (متى ٢٥: ٤٠). الملك يظهر، إذًا، بوصفه الإنسان، أي إنسان، وخصوصًا المقهور. في هذا، إذًا، قلب جذريّ لمفهوم الملكيّة. فالملوك ليسوا من تسيّدوا على البشر وتسلّطوا عليهم، بل الملوك الحقيقيون هم هؤلاء البشر أنفسهم. وهم يصبحون ملوكًا بقدر ما يكونون ضعفاء ومظلومين، لأن الملك الأعظم، يسوع، يمسح جباههم بزيت ملكيّته ويختمهم بختم ملكيّته. هذا يذكّرنا، طبعًا، بالإصحاح الأول من كتاب التكوين، حيث كل إنسان، من حيث أنه ذكر أو أنثى، هو صورة الله، وذلك بخلاف الفكرة المهيمنة في الشرق القديم، سواء في مصر أو في بلاد الرافدين، أن الفرعون أو الملك هو صورة الله وممثّله على الأرض.

ولكن، إذا كان المَلِك الأعظم يخلع، من جهة، رداء ملكيّته على كل إنسان، فهو يطالب، من جهة أخرى، كل إنسان أن يسلك بموجب هذه الملكيّة الممنوحة له نعمةً، أي أن يقوم بالدور الذي كان ينبغي أن يمارسه الملوك في العهد القديم، وهو الاهتمام بالآخرين، وعلى الأخصّ

لإبليسَ وملائكتِه* لأنّي جُعتُ فلم تُطعِموني وعطِشتُ فلم تَسقوني* وكنتُ غريباً فلم تُؤووني وعُريانـاً فلم تَكْسوني ومريضاً ومحبوساً فلم تزوروني* حينئذٍ يُجيبونهُ هم أيضاً قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعاً أو عطشانَ أو غريباً أو عُريانـاً أو مريضاً أو محبوساً ولم نخْدِمْكَ* حينئذٍ يُجيبهم قائلاً الحقَّ أقول لكم بما أنَّكم لم تفعلوا ذلك بأحدِ هؤلاءِ الصغار فبي لم تفعلوهُ* فيذهبُ هؤلاءِ إلى العذابِ الأبديّ والصدّيقونَ إلى الحياةِ الأبديَّة.

تأمل

يتوجّه كلام الرسول بولس ليس فقط لأبناء عصره بل لنا اليوم نحن أيضاً الذين نزدري في كثير من الأحيان خلاص إخوتنا الضعفاء، لأننا كثيراً ما لا نكترث بما نقول أو بما نأكل، إن كان فلان يتعثّر من كلامي، إن كان آخر من الإخوة يفقد خلاصه. هذا التصرّف يشبه قساوة أولئك الأقوياء الذين يخاطبهم الرسول. إن كان هذا التصرّف يشكّل عثرةً للإخوة الضعفاء في ذلك العصر، فماذا نقول عن تصرّفنا اليوم الضعفاء، لأن هؤلاء ما عندهم أحد يتّكلون عليه إلا الله. على هذا المستوى، تُرجِّع آيات النص الإنجيلي صدى المكتوب في سفر حزقيال: «لأني جعت فأطعمتموني (تأكلون الشحم) ... كنت غريبًا فآويتموني (المطرود لم تستردّوه)، عريانًا فكسوتموني (تلبسون الصوف)، مريضًا فزرتموني (المريض لم تقوّوه)» (متى ٢٥: ٣٥–٣٦).

من البديهي أن لا ننسى هذا الفكر الإنجيلي الصافي ونحن نلج مسيرة الصوم. إذ لا صوم بلا محبة القريب ولا محبة حقيقية للقريب إن لم تنسكب على الضعفاء والمرضى والمكسورين والمجروحين والمحبوسين. إن كلمات يسوع هذه ليست مقياس الدينونة في اليوم الأخير فحسب، بل هي تتضمّن دينونة، اليوم، لكل الملوك اللاهين عن الضعفاء، ولكل الحكام الذي لا يقيمون وزنًا إلا لمصالحهم، ولكل الأنظمة السياسية التي تتناسى قضية الفقراء، ولكل الأغنياء العميان، ولكل هيئة بشرية لم تفهم أن يسوع يسكن مع الفقراء بين الأقذار والخرائب وعلى هامش أبنية المدن المرتفعة. إذا أردنا رؤية وجه يسوع، فلننطلق إلى هؤلاء، فنلقاه.

الصوم في الكتاب المقدس

«لما نَهمْنا تكبّدنا التعرية الأولى وحين غُلبنا من المذاقة المرَّة صرنا من الله منفيين، لكن هلمَّ لنعود نحو التوبة وننقي الحواس المحارَبة ممتلكين الصيام مدخلاً، مشدّدين القلوب بأمل النعمة لا بالأطعمة التي ما أفادت مَنْ تصرّف بها. وليؤكل منا حمل الله الذي قُدِّم لأجلنا ذبيحة في ليلة قيامته الطاهرة ...» (من صلاة مساء أحد مرفع اللحم).

مع أحد مرفع اللحم نصل إلى المرحلة الأخيرة من التهيئة قبل الدخول في الصوم الكبير والانطلاق في رحلة نشارك فيها المخلّص في مسيرته صعودًا إلى أورشليم، إلى الصليب والقبر والقيامة، وارتقابًا منا لملء استعلان الملكوت في المجيء الثاني. اليوم نرفع اللحم عن موائدنا قبل أن نرفع الجبن واللبن والسمك عن موائدنا في الأحد القادم، وكأن الكنيسة تود أن تدخلنا تدريجيًا في الصوم لأنها تعي ضعفاتنا البشرية. إذا كان الصوم رحلة مقدسة، فاليوم هو اليوم الذي نقطع فيه بطاقة سفرنا نحو الفصح ونحزم الحقائب لننطلق بالرحلة الأحد القادم.

أسس الصوم اللاهوتية متجذرة في الكتاب المقدس:

+ في العهد القديم، توصي الشريعة الموسوية (لا ١٦: ٢٩ و٢٣: ٢٧) الشعب بأن يذلّلوا نفوسهم، أي أن يصوموا معلنين التوبة، يوم عيد الغفران في العاشر من الشهر السابع في أوائل الخريف. بعد السبي أضيفت أربعة أيام للصيام والتوبة أيضًا (زك ٨: ١٩): تذكارًا لحصار أورشليم في الشهر العاشر (٢ مل ٢٥: ١) وسقوطها في الشهر الرابع (٢ ملو ٢٥: ٣ و٤)، وخراب الهيكل في الشهر الخامس (٢ مل ٢٥: ٨ و٩) ومقتل جَدَلْيَا واليهود الذين بقوا في أرض يهوذا أثناء فترة سبي بابل، في الشهر السابع (٢ مل ٢٥: ٢٥).

بالإضافة إلى هذه الأيام نرى أمثلة كثيرة عن صوم الشعب بأكمله أو كأفراد في مناسبات عديدة. النبي موسى صام أربعين يومًا على جبل سيناء قبل أن يستلم الوصايا العشر (خر ٣٤: ٢٨). وسار ايليا إلى جبل حوريب لا يأكل ولا يشرب أربعين يومًا حتى تراءى الله له (١ مل ١٩: ٨). أما دانيال فقد أعطاه الله فهمًا

الذي يشكّل عثرة حتى للأقوياء؟

عندما نقتل ونسرق ونتكبّر ونتنعّم ونعامل إخوتنا الأحرار مثل عبيد، كيف لا نعثر الآخرين بذلك؟ لا تقل إن هذا صانع أحذية، والآخر صبّاغ، والآخر نحّاس، بل أنظر إليه كأخ مؤمن. نحن تلاميذ أولئك الصيّادين، العشّارين، العاملين في الخيم، تلاميذ ذاك الذي تربّى في بيت نجار، ذاك الذي وُضع في مغارة ملفوفاً بالأقمطة ولم يكن له ما يسند إليه رأسه، ذاك الذي تعب من كثرة المسير وكان الآخرون يُطعمونه.

لا تعتبر أبداً العظمة البشرية مقياساً. لا تحترم فقط ذاك الذي يسير في عربات كبيرة، الذي له خدم كُثُر. لقد صدق القول إن الأخ الحقيقي هو الذي يشبه المسيح أكثر... مَن الذي يشبه الصيادين أكثر؟ أليس الذي يعيش من عمل يده اليومي، الذي لا يملك عبداً في بيته وهو مصلوب على كل شيء، أم هو ذاك المتكبّر والذي يخالف وصايا الله؟ لا تزدرِ إذاً أخاك الحقيقي الضعيف لأنه أقرب إلى صورة الرسل.

القديس يوحنا الذهبي الفم

ومعرفة بعدما صام ثلاثة أسابيع (دا ١: ١٧ و١٠: ٢–٢١). كذلك نادى أهل نينوى «بصوم ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم» (يونان ٣:٥) عندما أعلن لهم يونان غضب الرب عليهم.

إذاً، كان أفراد الشعب يعلنون الصوم دلالة على توبتهم عندما كانوا يشعرون بخطيئتهم وابتعادهم عن الله (نحميا ٩: ١–٢، ١ صمو ٧: ٦). وكانوا يُنادون بالصوم أحياناً في أيام الشدّة (أرميا ٣٦: ٩، يوئيل ١: ١٤) كما كانوا يصومون ليتهيأوا لحدث إلهي مهم كما كان مع موسى وإيليا.

في الصوم كان الشعب ينقطع عن الطعام من غروب الشمس إلى الغروب التالي، وكانوا يلبسون المسح على أجسادهم وينثرون الرماد على رؤوسهم، وكانوا يصرخون ويتضرعون ويبكون (١ ش ٢٢: ١٢، يوئيل ٢: ١٢–١٧، يونان ٣: ٥ و٦). كما كان الصوم يرافق الصلاة الملحة والمتواصلة (عزرا ٨: ٢١–٢٣).

الصوم مع أنبياء العهد القديم، وبخاصة أشعياء ونحميا، ليس إذلالاً وتعذيباً للنفس، ولكنه مدخل إلى فرح الرب، تماماً كما صار الصوم في الكنيسة المدخل للوصول إلى فرح القيامة (نحميا ٨: ٩–١١، أشعياء ٥٨: ٦–١٤). من المهم أيضاً أن نعي أن الصوم الحقيقي في العهد القديم لم يكن صوماً خارجياً فقط بل يتضمن الإعراض عن الإثم والإقبال على عمل الرحمة (أشعياء ٥٨): «أليسَ هذا صوماً أختارُهُ حَلَّ قيودِ الشرِّ. فكَّ عُقَدِ النِّيرِ وإطلاقَ المسحوقينَ أحرارًا وقطْعَ كلِّ نير. أليسَ أن تكْسِرَ للجائِعِ خبزَكَ وأنَّ تُدخِلَ المساكينَ التائهينَ إلى بيتِكَ. إذا رأيتَ عريانًا أن تكسوْهُ وأن لا تتغاضى عن لحمِكَ» (٥٨: ٦ و٧).

+ في العهد الجديد نقرأ أن الرب يسوع صام أربعين يومًا ثم انطلق في بشارته بعد أن جرّبه الشيطان ثلاث مرات (متى ٤: ١–١١). وفي أثناء بشارته سأله تلاميذ يوحنا: «لماذا نصومُ نحنُ والفريسيون كثيرًا وأما تلاميذُكَ فلا يصومون. فقالَ لهمْ يسوعُ هل يستطيعُ بنو العُرس أن ينوحوا ما دامَ العريسُ معهُمْ. ولكن ستأتي أيامٌ حينَ يُرْفَعُ العريسُ عنهمْ فحينئذٍ يصومون» (متى ٩: ١٤–١٥). وهذا يعني أنه بعد أن يقوم المسيح ويصعد إلى السماء ويرسل الروح القدس حينئذٍ يصومون، وهذا ما فعله التلاميذ لاحقاً.

لقد علّم الرب أن مَنْ يصوم يجب أن لا يتفاخر بأنه يصوم، بل يجب أن يدهن رأسه ويغسل وجهه «لكي لا تظهر للناس صائمًا بل لأبيك الذي في الخفاء» (متى ٦: ١٨). كما علّم أن الصوم ترافقه الصلاة، إذ عندما لم يستطع التلاميذ شفاء الإنسان المصاب بالصرع قال لهم الرب «وأما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم» (متى ١٧: ٢١). أما الرسل فكانوا يصومون ويصلّون قبل أخذ القرارات الهامة. لقد صاموا قبل أن يختاروا برنابا وشاول (أي بولس) للانطلاق إلى البشارة في العالم (أع ١٣: ٢ و٣).

ما أحوجنا هذا العام وفي ظل هذه الصعاب المحيطة بنا أن ندخل الصوم واضعين على الرب وحده رجاء خلاصنا، فنندم على خطايانا التي أحزنّاه بها ونتوب على فعل كل شرّ، لعلّه يخلّصنا ويوصلنا إلى شاطئ الأمان كما أوصلنا قديمًا إلى شاطئ القيامة المحيية.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb